مفكرة

"المشهد المضحك المبكي"

آلاف المواطنات والمواطنين فلسطينيين ولبنانيين يجلسون في كل احتفال ومهرجان ينتظرون القادة ليتحدثوا اليهم حول الوضع السياسي والمواقف والتضحية والنضال و ...

وفي كل مرة يتجمع فيها الناس ليستمعوا .. يتأخر القادة ويبدأ الاحتفال بعد موعده المقرر .

هذه بسيطة فقد اعتاد الجميع على ان وقت القادة ثمين !

ما ان يصل قائد (مشهور او مغمور) مدخل القاعة حتى تعم الفوضى : يندفع « القائد » تحف به مجموعة من المقاتلين ... مدججين بالسلاح والقنابل والذخائر ... و ...

تصل الامور ببعضهم الى حد ابعد من ذلك بكثير ..

شهادة :

شاهدت بأم عيني احدهم يدخل القاعة شاهرا مسدسه متقدما ركب احد القادة . وعندما لفت نظره للموضوع أرعد وازبد ونهر وكشر ... كيف لا والجموع المحتشدة أتت من كل حدب وصوب لتستمع للقائد ...

وبما ان القاعة تكون عادة غاصة بالمواطنين المتحمسين « للعمل الوطني » تصبح مهمة المدججين بالسلاح « عادة » ان ينهالوا دفشا ورفشا عليهم كي يمر القائد .

ولا يهدأ للمدججين بال الا عندما يرون « القائد » يحتل مكانه في الصف الامامي .

طبعا كل هذا يتم وملامح القائد طبيعية او هكذا رسمت، تتوسطها ابتسامة اتقنت قياساتها كي تتلاءم مع محبة الجماهير له .

وعندما تهدأ ثائرة المدججين يعتبرون المرحلة الاولى انتهت ويروحون يحضرون للمرحلة الثانية :

فيصطفون امام المنصة او المنبر مصرين على البقاء قرب « القائد» وما هي الا دقائق حتى تمتلىء الفسحة الضيقة والواقعة بين المنبر والصف الامامي ، بالاسلحة وحامليها ، وتشرئب اعناق الجماهير ... تتطلع وتنتظر .

وما ان يبدأ عريف الحفل بعرض عضلات اوتار صوته شعرا وصراخا حتى تبدأ المجموعات الموزعة في اركان القاعة بالهتاف :

بالروح .. بالدم نفديك يا « فلان » . وخلال لحظات ترهق ارواح الالاف وتسفك دماؤهم فداء لفلان .

ومن الضروري ان تعلم ايها القارىء العزيز ان كمية الدم المسفوك والارواح المزهقة تتناسب طرديا مع كون « القائد » مغمورا . وتتوزع ارواح المواطنين ودماؤهم بين القادة .

وعندما ينتهي المهرجان او الحفل يكتشف البعض انه لم يبق ارواح ودم لفداء فلسطين او لبنان . فقد قدمت في الحفل على منبر القادة .

واذا انت تقبلت هذا (على اساس انه ضرب من ضروب الحماس الجماهيري) تركز انظارك ، شارد التفكير ، في كمية القنابل والرشاشات والمسدسات المعروضة امامك ، تدهش وينتقل تفكيرك فورا الى قطاع غزة لتتذكر ان مناضلا اقتحم مكتب الحاكم العسكري الصهيوني يحمل مسدسا قديما محاولا تنفيذ حكم الاعدام به ..

وتتذكر ان المسدس كان قديما لدرجة ان الطلقة الاولى فقط هي التي دوت ولم تفلح يد الثائر الغاضب في اقناع المسدس باطلاق الرصاصات الباقية .

وقد لا تفعل هذا ايها القارىء . ولكنك حتما ستصاب بحالة من الغثيان عندما تستفيق من شرودك على صراخ عريف الحفل يبشر المواطنين بانه حان موعدهم مع القائد فلان . يعلو التصفيق الحاد . وتشرئب الاعناق لتراقب « فلان » ينهض ببطء شديد ... ويتوالى التصفيق ... ويتجه فلان على مهله نحو المنبر ...

ويتذكر المدججون بان المرحلة الثانية قد بدأت فيتراكضون نحو المنصة .... ليمارسوا عملية الدفش والرفش ولكن هذه المرة « ضد الصحافيين والمصورين » الذين قضوا ساعات وهم ينتظرون كلام فلان القائد .

وينتظم المدججون بعد ذلك وراء القائد عارضين اخر مبتكرات لازياء على الصحافة والتلفزيون . الم تصب بعد بالغثيان ايها القارىء.